B O T H A Y N A   A L - E S S A

SHORT STORY

@ketab_n

20.4.2012

◆ بثينة العيسى

قيس وليلى والذئب

ketab.me



SHORT STORY

بثينة العيسى

قيس وليلى والذئب

قيس وليلى والذئب

قيس وليلى والذئب/ قصص قصيرة
بثينة العيسى/ مؤلفة من الكويت
الطبعة الأولى: 2011

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
المركز الرئيسي:
بيروت، الصنايع، بناية عيد بن سالم،
ص. ب: 11-5460، العنوان البرقي: موكيّالي
هاتفاكس: 751438 / 752308
التوزيع في الأردن:
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان، ص.ب: 9157، هاتف 0096265605432 هاتفاكس: 0096265685501
E-mail : info@airpbooks.com
www.airpbooks.com
تصميم الغلاف: محمد النبهان/ الكويت
لوحة الغلاف: سوزان عليوان/ لبنان
التنفيذ الطباعي: مؤسسة ديموبرس/ بيروت، لبنان

ISBN: 978-9953-36-151-7

إلى هديل الحضيف

في الغرفةِ الخلفيةِ من العالم

«أي قدر من العالم علينا الإمساك به ..
حتى يصبح العالم قابلاً للتجاوز؟»

غاستون باشلار

حروفٌ مخلوعة من جسدِ الحكاية

.. بعد أن قتلنا الذئب

ما حدث بعد ذلك

.. عادت الجدة إلى السرير ، وغادر الصياد حاملاً جثة الذئب على ظهره ، وجلست ليلى على طرف السرير تحتضن يدي الجدة وتتملى في وجهها ..

لاحظت ليلى أن عين جدتها ذابلة ونظرها واهن ، وأن يدها متعرقة وضعيفة ، بالكاد تقوى على احتضانها ، وأن فمها خاوٍ ومجعّد مثل مغارة باردة ، وأن أذنها عاجزة عن سماعها إلا بالصراخ ، وأن وجهها الطيّب شاحب ومجعد وموجوع .. فتمنّت ليلى - سراً - لو أن جدتها تستطيع سماعها ، ورؤيتها ، واحتضانها ، وتقبيلها و ..

تمنت ليلى سراً لو أن جدتها كانت ذئباً!

جدوى

- لماذا يدكِ ضعيفة وهزيلة يا جدّتي؟
- لأنني عجوز . .
- ولماذا عينك ضعيفة وصغيرة يا جدتي؟
- لأنني عجوز . .
- ولماذا فمكِ بلا أسنان يا جدتي؟
- لأنني عجوز . .

مشت ليلى بطول الغابة تتساءل بأسى ، ما نفع الحياة لشخص عجوز ، ألم يكن أفضل . . لو أن الذئب أكل الجدّة؟!

مصنع العجائز

- كيف يتحوّل الناس إلى عجائز يا جدّتي؟

هذه المرة تجرأت ليلى وسألت ، وفوجئت بجدتها تبتسم ، كما لم تبتسم قط :

- عندما نقرر أن نعيش ، فنحن نقرر أن نشيخ .. نحن نفعل ذلك من أجل أن نبقى على الأرض ، مدة أطول ، فلا أحد يضمن شكل الحياة في السماءْ!

الحلم

رأت ليلى في منامها بأنها تعبر الغابة مرة أخرى ، عندما اعترض طريقها مبنىً شاهق وعملاق ، يطفو بين السماء والأرض ، على جبينه قرأت : مصنع العجائز .

اقتربت ليلى من المصنع متسللة ، ثم وقفت على أطراف أصابعها لتطلّ من النافذة على داخله ، وبقيت هناك . . تراقب المصنع وهو ينتج كل ما يلزم المرء لكي يشيخ بشكل صحيح : تجاعيد ، آلام مفاصل ، آلافُ البكرات من الشعر الأبيض ، والأهمّ : أطنان من الحكايا . . كانت بوابة المصنع مشرّعة تماماً ، وفي كلّ دقيقة يخرجُ شخصٌ جديد ، بشعر أبيض وجلد مجعد وحكمة بالغة ، يحمل في يده مرآة صغيرة ، يتأمل

وجهه ، ثم يهز كتفيه ويبتسم وكأن الأمر لا يهمّ ..

أن لا يخيفك شيء ، لا التجاعيد ولا الذئاب ..

تلكَ هي الشيخوخة!

بعد شهر العسل

خرجت سنووايت من القصر حاملة كعكاً وعصائر ، وتوجهت إلى كوخ الأقزام السبعة ، عبرت الغابة القديمة بشعور جارف بالحنين ، رائحة الأرضِ وأنفاسُ الأشجارِ تأخذُ بها إلى أمس أليف ، حتى تناهى إلى سمعها صوت غنائهم وجدالهم ، سبعة أصواتٍ لسبعةِ أقزامٍ حبيبة .. طرقت الباب ثم دخلت وسط هتافهم وغبطتهم ورقصهم الجذل وأيديهم التي تتجاذب يديها و .. جلس الثمانية ، كما في الأيام الخوالي ، مستمتعين بتفحص وجوه بعضهم ، وبدأوا - كما في كل زيارة - يعيدون ترتيل الحكاية القديمة ، حكاية الحب الأسطوري ، والتفاحة المسمومة ، وزوجة الأب الشريرة

والقبلة السحرية . . عندما بدأت سنووايت تبكي :

- لم يعد الأمر كما كان عليهِ!

فوجئ الأقزام السبعة ببكاء سنووايت ، وسرعان ما تحلقوا حولها لمواساتها ، فراحت تخبرهم عن الملل والوحشة والوحدة التي تشعر بها في ذلك القصر البارد ، والسرير البارد ، والقلب البارد ، والوجه البارد و . . هتفت فجأة :

- تعالوا لتعيشوا معي!!

تهللت وجوه الأقزام بالبهجة ، ورقصوا حول سنووايت مسرورين ، فقد بدت لهم فكرة رائعة ، أن يكونوا معاً مرة أخرى ، أن يستعيدوا تلك الأيام ، ولكن أوسطهم سأل بعد تلكّؤ :

- ولكن يا سنووايت ، أنظري ماذا فعل لك العالم وأنتِ جميلة . . ماذا سيحل بنا ، في هذا العالم المولع بالأذى ، ونحن أقزام قبيحةُ الشكل؟

الضفدعة والأمير

ما من ساحرة نلقي عليها باللائمة ، وما من قبلة تبطلُ السحر . . أو تأتي بهِ!

هو لم يلتفت إليها قط ، وهي ما زالت تنتظر - بصبر نافد - أن يسقط كرته الذهبية في حياتها الآسنة ، أن تلتقفها له ، أن يحييها لذلك وربما . . ربما يسمح لها بالنوم في وسادته ، والأكل من صحنه ، ويقبّلها قبل النوم و . .

ربما سيكون للحكاية

وقتها

وقعٌ آخر .

القبلة السحرية

تأوّهـوا جـمـيـعـاً فـي وقتٍ واحـدٍ: لقـد كـانت جميلة فعـلاً!

كان شعرها الحريري يسيلُ على كتفيها مثل شلالٍ مضيء، وجهها بديعٌ وناءٍ مثل قمر.. يسرقُ الأعين بلا رحـمـة، وعـينيـهِ بالذات، حتى تجرّأ وأحبّها، ثم تجرّأ واقترب، ثم تجرأ وركع، ثم تجرأ وتوسل وناح ولطم وعفر وجهه بتراب حذائها، ففكّرت «من الغباء أن أشيح عن هكذا حُب!» فقبّلته، قبّلته وحلّقت إلى أحضانه، بعد مـزيدٍ من القـبـلات كـانت أطرافـهـا تذوي، وجلدها يتجـعّـد، وشـعـرها يتسـاقط، وعـينهـا تخـبـو، وصـوتهـا ينطفئ، وأصابعها تتآكل.. كانت تتحوّل في كل يوم،

ومع كل قبلة ، إلى مخلوق ضئيل ودميمْ ، حتى ما عدنا نراها ، ولسنوات طويلة ظننا كلنا بأنها لم تكن إلا وهماً آخر زار المدينة ، أو حلماً صيفياً لسحابة وحيدة ، حتى تجرأنا يوماً وطرقنا بابها ، لم يردّ أحد ، حتى الصدى حمل أمتعته وفرّ من المكان ، حطمنا الباب بصعوبة ، لم نجد أحداً ، لم نجد شيئاً ، لا صوتاً ولا ضوءاً ، ولكن ضفدعة خضراء حزينة خرجت من بين الأواني المغبرة وسلكت طريقها نحو الخارج ، ويوم ألفت نفسها تحت الشمس مرة أخرى التفتت إلينا ، كانت عيناها تفيضان بالدمع . .

الجميلة والوحش

عـاد الوحش إلى هيـئـة الأمـيـر الوسـيم ، وبطل مـفـعول الـسـحـر الأسود ، واسـتـقـرّ الأمـيـر مع عـروسـهِ «جميلة» في قصره الملكي .

مع مرور الوقت ، أخذ الأمـيـر يسـتـعـيـد إحـسـاسـهُ بوجهه ، فهالتهُ وسامته الاستثنائية ، وشعر بالظلم الذي وقع عليه كونه حرم من بهاء جسده وجمال محياه بسبب لعنة الساحرة الشريرة ، وصار يتسمّرُ أمام المرآة لأيام ويتمتم « لستُ وسيماً فقط! بل أنا أوسمُ رجلٍ عرفتهُ في حياتي» . . كانت هذه حاله على الدوام حتى إنه نسيَ أن ينظر إلى « جميلة» التي قبّلته وأبطلت السحر ، والأدهى من ذلك ، أنه لما لاحظ وجودها مرة -

بالخطأ - شعر بأنها ليست بالجمال ذاته الذي فتن به يومَ كان وحشاً مخيفاً ، وأن جمالها قد لا يكون لائقاً بوسامته ، والأرجح أنه ما كان ليحبها لو لم يكن يائساً إلى هذه الدرجة ، وأنه يستحقّ فرصة أفضل ، وامرأة أجملْ . .

بعد ما تحوّل الوحش إلى أميرٍ وسيمْ شعرت «جميلة» بالغبن ، لأن الرجل الذي أحبته لم يعد يشبه نفسه ، عاداته وطبائعه تغيرت ، لم يعد يحب إطعام الحمائم ولا قراءة الرواياتِ قبل النوم ، ولو أنها علمت بأن خلف فراء الوحشِ الدافئ وجهاً بهذه البرودة لما تورطت في هكذا علاقة ، والأدهى أنّها رغم كل المحاولات التي بذلتها لكي تحبّ هذا الوجهِ الجديد لم تستطع للحظةٍ أن تتخلص من شعورها بأنها برفقةٍ رجلٍ غريب ، رجل لا يشبهُ الوحش الذي عشقته ولا يضاهيه قوة ورجولةً . .

مع هذا ، لم يجسر أيٌ منهما على مصارحة الآخر بخيبةِ أمله ، ولا بالتخلي عنه . هي لم تطلب الطلاق وهو لم يطلب الخلع ، لماذا؟ لأن الحكايات التي تبدأ

جميلة هكذا ، ترتلها جميع كتب الأطفال ، لا يمكن أن تنتهي على هذا النحو أبداً!

من أجل أن ينتصر الخير

.. عثرت العنزة الأم على الذئبِ نائماً تحت أشجار الغابة ، همست لابنتها - التي اختبأت داخل ساعة الحائط! - بأن تأتيها بمقص وخيط وإبرة ، وخلال دقائق أتتها الصغيرة بالأغراض ، فقصت العنزة بطنَ الذئب واستعادت صغارها الذين بقوا - بقوة الخير وحدها - أحياء في بطن الذئب .. ثم وضعت في بطنِه ستة أحجارٍ ثقيلة وخاطته بإبرتها ذاتها التي تثبت بها الأزرار المخلوعةً من قمصان صغارها ، واختبأتْ بين الشجيرات لكي تشهد هي وبناتها السبع مصرع عدوهم اللدود ، لأجل أن ينتصر الخيرْ ، وينحسرَ الشر ، كما هو خليقٌ بأي حكاية سعيدة .

استيقظ الذئب من نومه وهو يشعرُ بعطشٍ فظيع ، أحس بأمعائهِ تتقطع ورأى الدماء تلطخ وبره من كل صوب ، تحامل على نفسه ونهض ليخطو ثقيلاً صوب البئر القريبة ، ولما أدنى رأسهُ من الماء انكبّ على وجهه لتبتلعه غيابات الجب المظلمة ، وهناك ، في ذلك المكان السحيق من الحكاية ، تُركَ الذئب ليموت ، اقتحم الماء منخريهِ وعبأ رئتيهِ إذ هو ينتفض في ظلمة البئرِ وينادي تحت الماء . .

لوّح الذئب بيديهِ وساقيهِ بكل ما تبقى له من غرائز البقاء . . على أمل أن يطفو ، ولكن الأحجار التي زرعوها في بطنه سحبتهُ أكثر إلى تحت . . تحت . . تحت . . وعندما انقطع الخيط الذي خاطت به العنزة بطن الذئب ، شهد في لحظاته الأخيرة خروج قلبه وكبده وأمعائه وكليتيه . . كانت أحشاؤه الداخلية كلها تطفو . .

مسكين الذئب ، فقد أكل عندما جاع! لم أكن أعرف بأن هذه خطيئة .

سام والفاصوليا

.. تحقق السحر، وتحولت حبات الفاصوليا إلى شجرة هائلة تطعن كبد السماء، تناطح السحاب، وتحمل المرء إلى عالم جديد، حيث العمالقة، والدجاجات التي تبيض ذهباً، وأكياس النقود التي لا تنضب، والآلات الموسيقية بعزفها الذي يخلب الألباب..

في المرة الأولى، سرق سام أموال العملاق لأنه كان مفلساً وجائعاً.

في المرة الثانية، سرق سام دجاجة العملاق التي تبيض ذهباً، لأنه كان فضولياً وجشعاً..

في المرة الثالثة، سرق سام الآلة الموسيقية المفضلة

لدى العملاق، لأنه ظنّ بأنه أحق بها من الآخر، كيف لا .. وهو الفتى الوسيم، والآخر مجرد عملاق قبيح؟

ولما طارد العملاق سام لكي يستعيد مسروقاته، قطع سام ساق الشجرة السحرية، فانكب العملاق على وجهه بطول المسافة بين السماء والأرض، وسقط صريعاً .. لأنه كان - أيْ سام - قاتلاً.

.. وهكذا، يا أصدقائي! تخلص العالم من العملاق الشرير، الذي أخطأ خطأً جسيماً .. وطالب بحقوقه!

سندريلا

عكرٌ مزاج الأمير . . فقد عثر في حفلة الأمس على فتاة أحلامه ، وراقصها ، وخاصرها ، وأمسك يدها ، فهربت منه ، وتركت له حذاءً!

فكر : لا يمكن أن يكون هناك من هو أسوأ حظاً مني!

جلس بثقلٍ على مائدة الطعام يرتشف قهوته الصباحية ، عندما دخل وزير المملكة إلى غرفة الطعام ، حياه وقال له :

- مولاي الأمير ، إن أباك الملك قد أرسل لك لحضور سباق الفروسية مساء اليوم . .

- آه ، بالطبع أيها الوزير ، هذا موعد مهم ، ولكن يجب علي أن أجد الفتاة أيضاً .

- وبعد ذلك ، يجب أن تذهب مع والديك في زيارة ملك البلاد المجاورة . .

- وهذا أيضاً مهم .

- وعليك أن تفتتح عرضين مسرحيين هذه الليلة . .

- آه . . نعم ، وهذا أيضاً!

فكر الأمير وهو يتأمل الحذاء الزجاجي الذي تركته له سندريلا ، كيف سيوفق بين مهامه كلها وحبه الجديد؟ فغلبه التثاؤب ، وأغمض عينيه بكثير من الإعياء لفرط التفكير ، فبادره الوزير :

- بعد إذنك يا مولاي ، ماذا سنفعل بشأن الحذاء؟

- الحذاء؟ أي حذاء؟

- حذاء الفتاة التي راقصتها في حفلة الأمس!

- آه ، نعم . . الحذاء ، ماذا سنفعل بشأنه؟

- أنا بانتظار أوامرك يا مولاي .

- لا أدري ، أنا مشغول ، عندي مهام كثيرة لأنجزها ، كما أنه لا يصح أن يراني شعبي وأنا أطرق أبواب البيوت

أبحث عن فتاة وبيدي فردة حذاء ، إن الأمر مهين جداً لي كما تعلم .

- عوضاً عن كونه خطيراً يا مولاي ، فقد تحصل محاولة لاغتيالك أو لاختطافك من قبل بعض ضعفاء النفوس من الجياع الساخطين على الأسرة الحاكمة! أطال الله في عمرك يا مولاي الأمير !

- نعم! هذا صحيح! إن الأمر خطير جداً . .

- هل لي أن أقترح على مولاي أن يذهب رجاله للبحث عن الفتاة بدلاً منه ، بحيث يسعه أن يحضر سباق الفروسية ، ويلبي زيارة المملكة المجاورة ، ويفتتح العروض المسرحية ، ويقوم بسائر واجباته الملكية؟

- ولكن كيف سيتعرف رجالي عليها؟

- من حذائها يا مولاي!

- نعم . . ولكن ، ألن تشعر الفتاة بالمهانة إذا تعرف عليها حبيبها من حذائها؟

- بالتأكيد ، هكذا هم النساء يا مولاي ، تقلقهن الشكليات! ولكن الأمر مبرر . . لسلامتك يا مولاي ،

وهي ستتفهم بالتأكيد ، لأنها أحبت أميراً يجب أن تكون سلامته وحياته السياسية من أول اهتماماتها .

سرّ الأمير بكلام الوزير ، فبهذه الطريقة . . سيسعه أن يذهب في جولاته الملكية في أنحاء البلاد ، وأن يحضر مع والديه عروض المسارح وسباقات الخيل ، ويلبي دعوات البلاد المجاورة لشرب الشاي وقضاء وقتٍ لطيف مع أميرات القصور الأخرى ، وعندما يعود في الليل ، سيكون رجاله قد عثروا على الفتاة الجميلة ، وستملأ له سريره!

ما زلنا نبرحُ الأمثال ضرباً ..

حجرْ

يحكى أن زهرة نبتت بين حجرين كبيرين ، كان الحجران كبيرين لدرجة أنهما حجبا عنها كل ما في الجوار ، لم تكن الزهرة تلتقي بالعشب ، أو الأرانب ، أو الأشجار ، أو العصافير ، أو السناجب ، أو الجداجد ، أو أقاربها من الأزهار ، لم تحادث أحداً ولم يتحدث إليها أحد ، لم تر الزهرة شيئاً باستثناء الحجرين الكبيرين ، والسماء من فوقها . .

بعد أيام ، ذبلت الزهرة وماتت ، ماتت معتقدة بأنها أيضاً . . حجرْ .

شهادة

الزواجل وعصافير الدوري والغربان والسناجب والبوم . . كلها تحطّ على أغصان السدرة العالية لتتفرج على العالم من فوقْ ، يقول الجميع بأن المشهد أجمل من هناك . . الجميع إلا ورقة الخريف!

أصرّت ورقة الخريف بأن العالم يبدو أجمل من تحت ، وابتهلت للريح كي تحملها بعيداً ، بعيداً خارج الغصون والأوراق والجذوع والجذور ، بعيداً حيثُ هي وحدها ، لترى العالم من أسفل . .

لبت الريح أمنية ورقة الخريف ، ونفختها بعيداً خارج قبضة الغصن ، خارج السور ، خارج الوادي . . وجدت ورقة الخريف نفسها محشورة بين عشبتين وحجرين

وزهرة أقحوان صغيرة ونملة مشغولة بحمل ساق جرادة ، وإذ هي تلفظ آخر أنفاسها تمتمت بصوت سعيد وواهن « . . لكم هو رائع أن يكون المرء على حق» .

فتنة

لم تسمع شيئاً ولم ترَ شيئاً ، لم يكن ثمة رائحة أو حتى ظلّ ، ولكنها نهضت من مكانها فجأة وتبعت ذلك «اللا شيء» الذي أغواها ، عبرت أدغالاً وكهوفاً ووديانا وقرىً . .

لم يرها أحدٌ منذ ذلك اليوم .

لعبة السعادة

في كلّ مناسبة سعيدة ، كانت ترسم وجهاً ضاحكاً على قصاصة ورق ، وتخبئ قصاصة الورق في قنينة زجاجية ، وتخبئ القنينة الزجاجية في أحد أدراجها ، مع صورة لحبيبها وزوج أقراطها . .

لم تفوت أي مناسبة ، سواء تلك الكبيرة (كحفل زفاف) أو البسيطة (كنزهة الشاطئ) ، فكل المناسبات السعيدة جديرة بالتوثيق ، وأهل بالذاكرة ، ومحفوظة في قنينة زجاجية ، في آلاف الضحكات الورقية .

وهكذا ، مع كل مناسبة حزينة ، كانت تفتح القنينة الزجاجية وتهزها في الهواء لتتساقط القصاصات على رأسها كندف ثلج ويمتلئ الفضاء برنين الضحك القديم . .

كـانت هذه هي حـيلة المرأة التي عـاشت حـيـاة سعيدة ، وماتت ميتة سعيدة ، ورأت أحلاماً سعيدة ، وبكت بكاءات سعيدة أيضاً ، وسط دهشتنا . .

وكلما سألناها عن قدرتها الخرافية على التبسّم ، ومهارتها منقطعة النظير في استجلاب السعادة ، كانت ترتل علينا :

«السعادة صنعة ، السعادة اختيار» . .

حكمة

يقولون بأن العمى هو عمى البصيرة .

أراد أن يتحقق من الأمر ، فاقتلع عينيه من محجريهما وثبتهما على قلبهِ ، مضى يحتفل بحكمته .. فتعثر بأول رصيف .

تابوت

زجاجة العطر تبكي في الليل :
« لماذا .. جعلوا مني وعاءً
لدماء أزهار ؟!»

.. وأخيراً

ابتسم أمام الأحزان المتراصة على صفحات السياسة وكأن الأمر لا يعنيه ، قرأ برجه لذلك اليوم ثم ضحك مستبشراً ، طوى الصفحة الاقتصادية دون أن يفكر بإلقاء نظرة ، وتساءل عن السبب الذي أودى بخسارة فريقه ولكنه لم يكن مهتماً بما يكفي لقراءة التحليل .

في الصفحة الأخيرة وجد ما يبحث عنه : إلى رحمة الله ، اسمه يلمع في السطر الأخير!

قهقه بنشوة ثم ركض إلى السماء .

تذكار

لم يصافح خدّها قبل رحيله ، بل غرسَ في وجهها جرحاً .

شتلة الجرحِ أزهرت ، أينعت ، تدلّت قطوفها وثقلت غصونها وامتدت جذورها عميقاً .. عميقاً صوب الرّوح .

. . . ولم يرغب أحدٌ بقطف الفتاة التي تحولت إلى جرح .

خلود

منذ أخبرها الحلمُ بأنها ستغادرُ الحياة وهي تخبئ وجهها في البراويز .

ورغم أن منزلها خاوٍ وجلدها ذاوٍ ، ورغم أن أحداً لن يفتقدها لو رحلت ، إلا أنها تصرّ . . لا قيمة لمنزلٍ لا يخلّد وجوه ساكنيه ، على الأقل في ذاكرة الغبار وبيوت العناكب والبراويز الخشبية العتيقة . .

فخاخ الأحلام

تساءل ثلاثة أولاد : لماذا تبرعُ الأحلام في الفرار من ذاكرة الحالمين؟ ما الذي يجعلها بهذه القدرة على التسرّب والاستعصاء؟

قال الأوّل : الأحلام فراشات من ضوءٍ ، أجنحتها شفافة ، وهي تختفي من أعيننا بمجرد حلول النهار . .

قال الثاني : الأحلام فصوص بلورية منتشرة في الفراغ ، تمتلئ بها الأمكنة ، تحطّ على أنوفنا عندما ننام وتبدأ في التوغل في مسامنا لكي نحياها ، الأحلام تستشهد فينا وينتهي وجودها بمجرد تعرّفها .

قال الثالث : كلا الرأيين خاطئ! الأحلام ليس لها شكل واحد ويستحيل معرفة كنهها ، ولذا يصعب

القبض عليها دائما ، ولهذا نحن لا نتذكر من حلمنا إلا بعضه .

وهكذا قرر الثلاثة أن يصطادوا حلماً ليتعرفوا عليه ، فنصبوا فخاخ الأحلامِ حول وسائدهم وغطوا في النوم ، في الصباح . . وجدوَا أن الفخاخ التي نصبوها قد اصطادتهم هم!

هزّ الثلاثة رؤوسهم : أحلامنا هي نحنْ ، هي ما جبلنا عليهِ ، هل ما يصنع حقيقتنا وهي . . ما ننساهُ على الدوام .

حسرة

لأنه ثمل ، لم يسمع زفرة الألم التي أطلقتها عندما أطفأ سيجاره في صدرها ، بعد أن أفاق إلى رشده نظر إليها وتساءل : لماذا هي سوداء هكذا ؟!

رمى بها من النافذة ، وقبل أن تتهشم على الأرض سمعها تضحك . وفي صدره ، ثمة قلب أسود .. يبكي : آه .. لو كنت منفضة سجائر !

موت العزيز

مات العزيز .

بكت الزوجة والأم والولد والخادم الأمين ، وخيّل للأسرة المفجوعة بأن العالم كله يبكي ، يتفجع فقد العزيز ، ولكنّ ذلك لم يكن صحيحاً ، فقد كان العالم يضحك!

لأن الدود وجد طعاماً مجانياً لأيام ، ولأن الجثة تحولت إلى سماد فاعشوشبت البقعةُ الحزينة التي هي قبره ، وشوهدت فراشة صغيرة تصفق بأجنحتها فوق العشب ، وشوهدت الهرة الشقيّة تراقب الفراشة وتنتظر فرصة للوثب ، وشوهد الكلبُ الذي يهوى عض أذيال القطط السعيدة يترصد للقطة ، وشوهد الطفل يضحك

ويكعكع لأنه رآى عشباً وفراشة وهرة وكلب ، لقد أصبح العالم جميلاً جداً في تلك البقعة ، وامتلأ المشهد بالفرح والحياة .. فوق جثة العزيز .

احتضار

«الخاطئ يموت»

بمجرد ما انتشر الخبر في القرية أسرع الأهالي إلى ذلك الكوخ ، الحداد والحطاب وحفار القبور والمختار وبالتأكيد . . الرجل التقيّ الذي يخافُ أن تفوته لحظة النزع قبل أن يتلو صلاته ليتأكد من وصول الروح إلى الجنة ، وفي الكوخ المهترئ ، ركع البعض عند القدم التي تيبست ، والبعض عند الكف التي بردت ، والبعض عند العين التي ابيضّت . تشابهت قلوبهم ، وأصواتهم : هل أنت نادم على الأخطاء التي فعلتها في حياتك؟

مع آخر نفس انطلق صوتٌ مكتوم : يا أصدقائي! آسفٌ أنا ، على كل خطأ لم أرتكبه في حياتي . .

دموع

يدفن رأسه في صدرها كل يوم ويشتمها : ألا يمكنك أن تمنحيني ليلة محترمة واحدة ؟!

الوسادة تبكي كل ليلة . .

ريشا ذابلا !

الموت

كل صباح ومساء وليل ، يحمل منجلهُ على ظهره ويخرجُ إلى العالم ، يحصد القليل من هناك ، والكثير من هنا ، ينشطر أحياناً .. حتى يتسنى له أن يعمل في مكانين في اللحظة نفسها ، لا يتأخر عن موعدهِ أبداً ، مع الأطفال الجائعين في الصحراء ، والكهول المرضى في الأسرة البيضاء ، يقفُ على الدوام مردداً «سيكون الأمر على ما يرام الآن» . .

هو يبتسمُ للطيبين ، ويهدهد الخاطئين ، ويبشر بالخلاص ، وكلما قبضَ روحاً أخرى ، غلبهُ السؤال : متى يحين دوري ؟

هوى

لم يعرف العالم عاشقين بائسين كالموتِ والحياة، يركضُ كلٌ منهما باتجاه الآخر دون أن يدركه، يفصلُ بينهما جدارٌ مستحيل اسمه الزمن، فيجيء كلٌ منهما إما مبكراً أو متأخراً عن الآخر، يتركُ له علاماتٍ يتعهد فيها بحبه الأبدي، ويمضي في بحثه مرة ثانية ..

الحياة، تجيء مبكرة، فتجد أنها قد سبقت الموت هذه المرة أيضاً، تملأ له المكان بالأزهار والعصافير والأعشاش، تخبره بأنها كانت هنا، وبأنها تحبه .. ثم تمضي لتبحث عنه في مكان جديد.

الموت، يجيء متأخرا، ليجد أن الحياة قد سبقته، وتحسبا لإمكانية عودتها إلى المكان نفسه، فهو ينشر في

المكان عباءته السوداء ، ويأخذ إليه كل تذكارات حبيبته من عصافير وأزهار وأرانب . . ليخبرها بأنه كان هنا ، وبأنه يحبها أكثر ، ثم يمضي ليبحث عنها في مكان جديد .

هو قدرنا على الأرجح ، أن نموت ونبعث ، طالما بقي الاثنان متيمين ببعضهما ، وإلا . . فلماذا تموت العصافير؟ ولماذا تتحول جثث العصافير إلى عشبٍ وحيواتٍ أخرى؟

هكذا فكرت ليلى ، أرقة ، بالعاشقين الذيْن حال بينهما الزمن ، وغلبها البكاء .

استعارة

الحـيـاة والموتُ زيتٌ ومـاء ، لا يندمـجـانِ بقـدرِ مـا يتجاوران ، كلما ارتفع منسوب أحدهما انخفضَ منسوبُ الآخر .

نولدُ ، ممتلئين بالزيتِ
نموتُ ، ممتلئين بالماءْ .

عقاب

بعد أن لقنهم درسا .. بعصاه
ألقى بها في زاوية الغرفة
تتأوه
من الألم!

نهر

أقحمت إصبعها في جوفها واستفرغت دماً وزيتاً وشيئاً من خوف ، وضعت كل ما تدفق من باطنها في التابوت وهمّت أن تلقيهِ باليم ليلتقطه عدوٌ يتربص بها في الضفة الأخرى ، جابت وجه العالم مراراً ولم تجد يماً أو نهراً أو بئراً أو بحراً حتى كأسا نصف ممتلئة . . لم تجد الماء إلا في قلبها ، والضفة والعدو الذي يتربص ، كل شيءٍ يجيء من الداخل!

صدق

هذا الاعوجاجُ القبيح فيٍ فمهِ
ليس عاهة ، ولا تشوهاً . .

هذا الاعوجاج القبيح في فمه
لأنه
- ببساطة -
ليس بارعا في ترتيب الكلمات
في جملٍ كاذبة!

الله

من وشوش في أذنكِ
يا حبة العنب الصغيرة
أن تتدحرجي
لجحر الفأر الجائع ؟!

العلم

.. رجل عاجز مغرور ، يعرج بعكازه ، له يدٌ واحدة من حديد تشبه المسطرة ، صغيرٌ ويصرّ بأنه كهل ، متورم من فرطِ الخيلاء ، يشير إلى الأشياء بإصبع بذيء ، من يده الواحدة ، يمنحها اسما وصفة ، سببا ونتيجة .

هذا الرجل العاجز المغرور الذي يسمونه العلم .. لم يجب عن أسئلتي قطْ .

صوت (١)

لقد عثرتُ على المعرفة
أو .. عثرتْ هيَ بي .
إنها هنا الآن ، هل تراها؟
تلك الحفرة السوداء السحيقة .. أبدية العمق ، هل
تراها؟
في قاعها ..
مرآة يتيمة
مرآة وحيدةٌ تصدأ ..
وليس ثمة إطارْ .
هل ترى وجهك الموغل في التساؤل والألم ..
مبروكْ ..
لقد وصلت .

نزيفُ داخلي

الكاتب

سقط القلمُ من يدهِ في أشدّ فصول الرواية حلكةً :

« ربّاه!»

تمتم مشدوهاً :
«جميع أبطالي متفوقون عليّ»

قصيدة

ينكفئ على نفســــه ، يقــبضُ على القلمِ بين إصبعين ، يتشنج ، يتصلب ، يصرع ، يزبد ، تزوغُ عيَناه ، يتأوّه ، ينفخ ، ينفخ ، ينفخ ، ،ينفخ . .

يدهُ تخدشُ البياض ، بما يتجاوز امتداد السطر وألم الصدر ، تمتصه اللحظة ، غواية الممكن وكل العوالم التي تفتقت و . . .

يلقي بالورقــة في بطنِ الدرج ، يطفئ النور ويغــادرُ مكتبه ، يلقي بجسده على ناصيةِ الوجود ، يغمضُ . .

كانت تلك قصيدة أخرى .

مشروع

.. كل هذا ، من أجل أن تزجي بي في إحـــدى قصائدك في النهاية؟

سألها ، والسؤال وتدٌ مغروسٌ في قلبهِ

وهو على حافةِ العالم

يقفُ على صدر ورقة ، يحدّق في العدم ..

تملت ليلى في سؤاله ملياً ، ثم ابتـسـمت لـنفسـها :

ستكون قصيدة جميلةً جداً !

جنة الشاعر

الآخرون : كلما أوشك على كتابة قصيدة ، رأيناه أكثر شحوباً وهزالاً ، رأينا القصيدة تمتصّ إكسيره وتقتات على روحه ، رأيناه يشيخ ويموتُ ويبعث في كل لحظة ، رأيناه يهيمُ في وجودٍ مفارق ، يمشي في الهواء صوب ممالك الطواحين والمجانين والفرسانْ ، رأيناه يحتفل بالعته والجنون والسفاهة!

الشاعر : كلما أوشكتُ على كتابة قصيدة ، يضيق العالم تحت قدمي ويتسع داخل رأسي ، تشرع لي سبعة أبواب للنعيم تحرقني في لحظة ولا أبالي ، أختنق في الهواء الكثير وأغرق في قطرةِ ماءٍ وأرقصُ نشوان من فرطِ الموتِ والحياة وأنا أرتّل «يا ليت قومي يعلمون» . .

جنة الشاعر : جحيم الآخرين

صوت (٢)

هذا رجل يتقيأ أحشاءه
وأنا أيضاً
سأفعل مثله
سأمضغك بقسوةٍ يا لساني
وألفظك خارجاً ..
هل ترى هذا الخيط القاني الذي يسيلُ
بين قدميّ؟

أعضائي التي أجهضت
تساقطت شائهةً
ومبعثرة ..
هل ترى كومة الألم الحمراء

أيها العالم؟
هاتِ راحتيكْ
هذه قصيدةٌ أخرى!

صوت (٣)

أدخليني في أحراش أحشائك
أيتها الكتابة
كوني لي أماً
أيتها الكلمة
ضميني إليك بقوة
أيتها الضمة
اعصريني بين أضلاعك
حتى يتفجر الحبر الأحمر من عينيّ
حتى تسيل عصارتي الحامضة
على وجه العالم
وتحرق ملامحه .

.. الغابةُ مرة أخرى

الذئابُ تنضجُ على الأشجارْ

غواية

فتحت ليلى الكتاب فوجدت غابة ، تحسستها بأصابعها . . تنشقت عبقها وأغمضت عينيها طويلاً ، طويلاً .

ما زالوا يفتشون عن الفتاة التي اختفت داخل كتاب .

فارس الأحلام

«إنه قـد يجيء في أيّ وقت ، في أي ليل ، في أي حلم .. وعندما يجيء سيكون من المضحك أن أقول له ، قيس يا حبيبي! انتظرني عشر دقائق أخرى ريثما أتأهّب!

ينبغي أن يكون فستاني جاهزاً ، وأن يكون جواز السفر في جيبي على الدوام ، ماذا سأفعل لو أخبرني بأننا سنتعشى في باريس ولم يكن الجواز معي؟ أحتاجُ أحمر شفاه ، وزجاجة عطر ، ومنديلاً .. ماذا لو جرح إصبعه ولم يكن معي منديل؟ أي حمقاء سأبدو؟ يجب أن يكون كل شيء جاهزاً منذ الآن ، منذ الآن وإلى الأبد!»

.. كل ليلة ، تملأ ليلى كيس الوسادة بفستان ومنديل وزجاجة عطر وجواز سفر ، تنام متوسدة فستانا ومنديلا وعطراً وجواز سفر ، تحلمُ به يجيء ويجدها في انتظاره .

كانت ليلى مستعدة على الدوام ، على الدوام! تراه كان مستعداً - أيضاً - قبل أن يختفي من أحلامها إلى الأبد؟

حواس

عندما نامت ليلى كانت عينها تحلمُ بالمستقبل، وأنفها يحلمُ برائحة المطر، وشفتاها تحلمان بقبلات صغيرة، وأذنها تحلمُ بالهديل، ويدها تحلمُ بالتلويح ..

رأت ليلى في المنام عجوزاً وذئباً وحمامة يرقصون تحت المطر، ورأت أن سبع فراشات مضيئة حطت على شفتيها وطارت بسرعة، ولما رفعت يدها لتلوح كان الضوء قد عادَ إلى العالم والنوم قد انقطع.

حدث كل شيء بسرعة وفي وقت واحد، حتى إنها لم تكن متأكدة مما رأته، هل كان ذئباً أم فراشات أم مطراً؟ أم أن الذئب والفراشات والمطر شيءٌ واحد يحدث للحظةِ وينطفئ؟ لم تكن ليلى تتذكر حلم الليلةِ الماضية .. لأن حواسها لم تكن متفقة في رغباتها أبداً.

عالمٌ جميل

أحضرت ليلى كراستها البيضاء وعلبة ألوانها ، ورسمت فتاة ترسمُ ، الفتاة في لوحةِ ليلى - بدورها - كانت فرحة بكراستها البيضاء وعلبةِ ألوانها ، ورسمت - أيضاً - فتاةً ترسم ، الفتاة في لوحةِ الفتاة التي رسمتها ليلى كانت هي أيضاً سعيدة بعلبة ألوانها وكراستها البيضاء ورسمت فتاة ترسم . .

ليلى ترسمُ فتاة ترسم . .

الفتاة في لوحةِ ليلى ترسمُ فتاة ترسم . .

الفتاة في لوحةِ الفتاةِ التي رسمتها ليلى كانت ترسمُ فتاةً ترسم . .

هكذا - فكرت ليلى - يمتلئ العالم بالبنيات السعيدات ، الكراسات البيضاء وعلب الألوان الجميلة .

هكذا - فكرت ليلى - سوف يبقى العالم جميلاً إلى الأبد .

الكتاب الكوني

كانت ليلى تقرأ رواية .

بطلة الرواية التي تقــرأها ليلى كــانت كــاتبــة روايـات . .

الكاتبـة التي كـتبت عن الكاتبة أمضت صفحاتٍ طويلة في الكتابة عن الكتابةِ . .

لذتها ، بهاؤها ، قسوتها و . . عالمها المليء .

داخت ليلى ، تاهت داخل أفكارها وهي تحـاولُ أن تفك الخيـوط المتشـابكة مـا بين الحـياةِ والكتـاب ، من يكتب عـمن؟ من يتكلم على لســان من؟ أينا حـقيـقة أينا؟ متى تبدأ الحدود الفاصلة بين الحياة والكتابة ومتى تنتهي ،

وهل ثمة حدود حقاً؟ أم أنني . . دافئة في سريري أقرأ ، أصبحُ بدوري بطلة في كتاب ، كتاب له دفتين عملاقتين ، الأرضُ والسماء ، ويتحرك كل شيءٍ في داخله؟

الغابة

في طرفِ الغابةِ
رأت ليلى الرجل يطيـرِ بجناحيّ غـرابٍ أسـودْ
ويستنفد وحدتهُ حتى آخرها
سمّاه الآخرون «الشاعر»

في وسطِ الغابة
رأت ليلى الرجل يحتضن السماء ، يرتشفُ الغيم ،
يلثمُ الندى
ينشرُ جناحاً أخضر ملء الأفق
سمّاه الآخرون «العاشق»

في آخر الغابة
رأت ليلى الرجل نفسهُ يعضّ كتفيه وينتفُ أجنحته
ويصرخ «دم! دم!»

فراغ

في أحدِ الشوارع الحزينة التقت ليلى بالمرأة التي تتوسد الأرصفة وتعلكُ الحصى ، كانت أطرافها مبتورة وشعرها محروق ووجهها فارغ مثل ورقةٍ بيضاء .

شعرت المرأة بأعينِ ليلى تلاحقُ تفاصيلها ، فسألتْ : يا صغيرة ، هل تريدين أن تعرفي كيف صرت بهذا الشكل ؟!

هزت ليلى رأسها أن نعم .

قالت المرأة : يا صغيرتي! لقد أردتُ يوماً أن أفوز بإعجاب الناس ، فبدأت أنظر حولي وأراقب الأمور التي تثير إعجاب الآخرين ، وأسلكها . . وتلك التي كانت تثير حفيظتهم ، أتحاشاها ، وهكذا بدأت أنتف ريشي

ريشة ريشة ، وأقرض أطرافي قضمة قضمة . . حتى تآكلتُ تماماً ولم يعد فيّ ما يثير الإعجاب أو الحفيظة :

لم أعد هنا .

الحفرة

بينما كانت ليلى تنبشُ محتويات قلبها ، عثرت على حفرة! حفرة مظلمة وأبديّة ، في مركز القلبِ تماماً ، ولم يكن بوسعها أن تتذكر من أين أتت الحفرة وما كانت المناسبة ، ولكنها راحت تنادي الحفرة «ليلى!» والحفرة تردّ عليها «ليلى!» . . الحفرة وليلى تنادي إحداهما الأخرى وتبكي ، تبكي شيئاً لا تعرفه ، يسمونه الفقد .

وجه المرآة

سألت ليلى المرآة :

- هل هذا وجهي أم وجهك؟

أشاحت المرآة بوجهها عن ليلى وقالت والغصة تخنقها :

- آه يا ليلى ، لقد تخلّيتُ عن وجهي منذ زمن ، ولم يعد بوسعي إلا أن أكون انعكاسا آنيا للآخرين .. فقد كنت أخاف! أخاف أن أجيء أقل ، أن أجيء أكثر ، أن أكون غير كافية أو فائضة عن الحاجة ، أخافُ مني ، من حقيقتي وحدودي ، من حاجبي وأنفي وشفتي ، كنت مستعدة لفعل أي شيء ، إلا أن أكون أنا! وهكذا كنتُ جديرة بالطردِ من جسدي ، وحلت علي اللعنة! وما ترينه

فيّ ، يا ليلى ، هو خوفكِ أنتَ . . منكِ ، أذكرك به ، قبل أن تمسخك مخاوفك إلى مرآة أخرى!

سماء كاملة

ليلى تشرب الشاي في الحديقة .

عندما قرّبت الفنجان من شفتيها رأت على صفحة السائل انعكاساً لغيمة تشبه الأيل ، سرب حساسين يعبر ، شمساً تشرق ببهاء ، وطائرة ورقية حمراء تعلو في أقاصي الفضاء .

ارتشفت ليلى شايها على مهل وهي تفكر بكل الأشياء التي تشربها مع الشاي : الغيمة والحساسين والشمس والطائرة الورقية .

تبسمت ليلى لفنجانها الفارغ وتمتمت بسرور : إن سماءً كاملة توجد في داخلي!

بلل

تمددت ليلى على ظهـرها تتـأمل بقع البلل الصـفـر التي تفشت على سطح الغرفة .

مـدت يدها بخـجل لتتـحسس رطوبة الشـرشف من تحـتـهـا . . البلل من فـوق ، والبلل من تحت؟ زفرت ليلى بضيق وهمست للسقف في تواطؤ : كابوس آخر؟

فضول

. . أنظري يا ليلى ، هذه نملة تحمل أختها الميتة على ظهرها ، ستعيدها إلى المملكة لكي تقيم لها جنازة ، إكراماً لجهودها الجزيلة وتفانيها في جمع الطعام ، ستدفن في مقابر النمل ، ليطمئن قلب أمها الملكة ، لأنها لا تستطيع النوم وهي تتساءل طوال الليل عما حل بابنتها

على عمق بضع إنشاتٍ من سطح الأرض . . كانت النملة قد حملت جثة أختها إلى غرفة المؤونة ، وضعتها بعناية بين حباتِ القمح المتراصة بجانب بعضها ، وخلسةً ، بدون أن ينتبه أحد ، قضمت جزءاً من قدمها ، لكي تتعرف على طعمها!

القبر

«نحن وحدنا الآن .. وحدنا تماما !»

همست ليلى للبحر إذ هو يلعق قدميها الصغيرتين ، تخففت من ثيابها وهي تضاحكه وقد طفح الزبد على ملامحه ، عادت تسأل : لا أحد هنا ، صح؟! صفعتها موجة ساخطة فضحكت : أقصد أحداً غيرك!

تمددت ليلى على الرمل ، وسمحت للبحر بأن يداعب خصلات شعرها ، أصابع قدميها ، وجنتيها .. ارتفع منسوب المياه على مهل حتى لفها من كل صوب ، اعتدلت ليلى وتبرمت وهي تداعب الماء بأصابعها « لماذا يجدون كل هذه الصعوبة في تصديق الأمر؟ ألا يمكن أن نكون عاشقين كما ندعي؟ »

انحسر الماء حزيناً ، تمتمت ليلى :

ربما كانوا على حق ، فأنا لستُ حورية بحر ولا أملك زعانف ، يقول أبي بأنه سيزوجني من قريبي ، أنت تعرف كيف تجري الأمور في هذه الأرض ، أليس كذلك يا حبيبي؟

في لحظة ثار البحر واسودت السماوات ، أخذت الأمواج تتلاطم وتصفق ، ذعرت ليلى لغضبة البحر ، أجهشت «ماذا تفعل؟ يا حبيبي؟» ارتفعت المياه أكثر حتى لامست ذقنها ، وصار الشاطئ بعيدا بأميال ، فاضت من عينيها دموع أخيرة وهي تهمس «هل ستقتلني يا حبيبي؟» وسحبتها أيادي البحر إلى باطنه .

في الصباح ، بحث الجميع عن ليلى على امتداد الشاطئ ، ولم يجدوا لها أثراً ، كل ما عثروا عليه هو ساقي فتاة لم يتعرفوا هويتها ، وصوت امرأة تبكي داخل قوقعة .

أرجوحةُ السماء

حلم العالم

كل ليلة ..

يغمضُ العالم عينيه ويحلمُ بالأمور التي ستحدثُ في اليوم التالي ، ولأنه ينسى أحلامه بمجرد استيقاظه ، فهو لا يملّ من التفرّج على الزمن ، ويتساءلُ في كل مرة « لماذا يبدو كل شيء مألوفاً هنا! »

خلل

تشابكت خطوط الأحلامِ لمدّة أسبوع ، ولا أحد يظنّ بأنه خللٌ فنيّ ، لأن أحداً لم يشعر بوجودِ أيّ فرقٍ بين أحلامهِ وأحلام الآخرين التي رآها .

كلنا ، باختصار . . نحلمُ بالحُب ونريده! لماذاً إذا ، عندما نستيقظ . . نوغلُ في الاختلاف؟

المظاهرة

لقد قتلنا الأرض!

في تلك المظاهرة الجماهيرية التي أقيمت ضد شبكة الشوارع التي تعتزم الحكومة بناءها، كانت ليلى تسير في المقدمة، تبكي وتهتف:

لقد قتلنا الأرض! قتلنا الأم! دفناها هنا، تحت الإسفلتِ والقطران، دفناها حيّة، هذا الشارعُ ضريحها، وهذه العمارات الفارعة، شواهد قبورها .. لقد قتلنا الأرض!

تعثرت ليلى، أو ربما دفعها أحدهم، فسقطت، وبين كفيها دموعها، وللحظةٍ .. وفي غمرة إحساسها باليأس، خطر لها أن تريح رأسها على القبر، على

إسفلت الشوارع ، وأن تبكي .. وعندما فعلت ذلك ، سمعت خشخشة غريبة تجيء من تحت ، صاحت «هدوء!» فصمت الجميع ، وفعلوا مثلها ، أراحوا رؤوسهم على الإسفلت وألصقوا بالقار آذانهم ، وهناك عميقاً ، عميقاً ، في بطنِ العالم ، سمعوا صوت خربشات غريبة ..

أيقنوا جميعهم حينها ، بأن الأرض / الأم ما زالت حية في قبرها .

تخدشُ سقف التابوت بأظفارها

تريدُ أن تخرج خضراء ..

صوت (٤)

سأكسر لسان القار الممتد أبداً
بمعلقتي البلاستيكية البيضاء
سأكنس قطران الشوارع
وأعيدُ للأرض الرمل والأخضر
سأسترجع حقيقة الأرض
وأحرر الصوت المدفون في بطنها

سأطلق في سماء الله
رائحة التراب الناشف
والعروق التي جفت
والجذور مبتورة الأطراف

سأطلق في سماء الله
صرخةً تشبه
رائحة جثتي!

رتق

تعبت الأرض من النظر إلى فوق ، من التطلع إلى فوق ، من الحلم بالفوقْ! تريدُ الأرض أن تستريح من السماء لبعضِ الوقت ، وأن تتفرغ للتعرف على ذاتها ، إمكاناتها واحتمالاتها وقدراتها ، عوضاً عن التملي في بهاء الآخرين .

السماء سئمت النظر إلى أسفل ، مراقبة العالم من عليائها وهداية الضالين بنجومها ، تريدُ السماء - على سبيل التغيير - أن تنظر إلى أعلى مثلاً ، أن تتعرف إلى ما يعلوها . . أن تشعر بالإكبار والإعجاب والضآلة ، ولو للحظة .

الأرض تكره نقصها ، والسماء تكره كمالها ، الإنسان وحده يسعد بوجوده على شفةِ الاحتمال .

فتق

قبل ذلك كانت الأرض والسماء شيئاً واحداً .

شيئاً يغمضُ عينيه ويحلمُ ، مرةً بالفضاء ، مرة بالحفر ، مرة بالعلوّ ، مرة بالعمق ، حتى تشظت أحلامه وتنافرت وتناقضت ، وانفصم الشيء إلى سماءٍ وأرض ، سافرت السماء إلى فوق لتلامس ما يعلوها ، وبقيت الأرض في الأسفل لتتفحص أغوارها .

فصام

قالوا بأنك الضوء والحركة والوضوح
وقالوا بأنني العتمة والسكون والشواش
قالوا بأنك النهار وبأنني الليل
بأنك التفكير وبأنني الشعور
بأنك الأعلى وبأنني الأسفل
بأنك السماء وبأنني الأرض
بأنك . . وبأنني . .

شطرونا في المنتصف تماماً
- يا أخي ، أيها الآخر ، يا أنا -
وقسموا بيننا المهام

والملامح
والأحلام غير المشروعة . .
وما فتئنا
- منذها -
نتشظى
دون مقاومة تذكر

ستقضي جلّ حياتك تركض في سبيل أشياء
قالوا بأن عليك إتمامها
لكي تكون رجلاً

وسأقضي جلّ حياتي متكورة في الزاوية
أنتظر أن تتم ركضك اللا نهائيّ وتعود
لكي أكون امرأة

زمن الحليب

احتقان

أغمضت الصغيرة عينيها ، وشنفت أذنيها ، وتظاهرت بالنوم .

من عادة أمها أن تأتي في هذه الساعة لتغطيها ، هي مشاكسة في نومها وأمها تعرف ذلك ، وهذه ليلة باردة بشكلٍ استثنائي ، لابد لأمها أن تظهر في ليلة باردة كهذه .

ستتظاهر بالنوم ، وتنتظر الميعاد الذي لا يخلف ، ستحضر أمها لتغطيها وتقبل جبينها ، وحينها . . ستفتح عينيها بشقاوة ، ستتعلق برقبة أمها ولن تتركها تذهب أبداً ، ستتشبث بثوبها بكل قوتها وتصعد معها إلى السماء .

.. في ذلك الصباح ، استيقظت الطفلة وهي تعاني من احتقان في الحنجرة ، وسعال شديد ، واكتئاب حاد .

أمومة

من فرطِ أمومتها ، كان تحاصر حضورها بالمرايا ، ليرى الطفل بأن له عـدداً لا يحـصى من الأمّـهـات اللواتي يحببنه ويرعينه ويحتضنه ويحمينه ويحطنَ به في كلّ وقت ، لكي لا يقلق بخصـوص نضـوب الأمـومـة من الوجود لأن رصيده منها أزلي ، مثل مرآة في وجهِ مرآة . .

مثل شجرةٍ أخرى

كان لأمها خصر عريض جداً، وشعر منكوش جداً، حتى إنها لما أرادت أن ترسمها واقفة في حديقة . . بدت مثل شجرة أخرى! لمّا أرت أمها اللوحة ضحكت طويلاً، وأخبرتها بأنها طفلة محظوظة جداً، لأن عندها آلاف الأمهات، في كل منزل، في كل حديقة، في كل مدينة، في كل وطن، في كل منفى . . آلاف الأمّهات، وبأنها تستطيع أن تكون بلوطة أو جوزة أو زيتونة أو تينة أو حتى تفاحة . . تستطيع أن تكون أي شيء تريده!

في الخريف التالي، يبست الأم فجأة ولم تعد تتكلم: قال الكبارُ بأنها ماتت. لم تفهم الطفلة الأمر،

وأخذت تصرخ وتصيح وتبكي وتركل الأرض وتضرب الحوائط ، عندما سمعت - فجأة - صوت نقراتٍ غريبة على زجاج النافذة .

أطلت الطفلة برأسها و . .

كانت الأشجار كلها تلوّح .

لقد كبرت!

ماما ، انظري إليّ ، لقد كبرتُ!
وبكثير من الجذلِ أضاف : أنا - الآن - أكبر منكِ!
قال ذلك ، وهو يقف على أطراف أصابعه ، فوق الكرسي ، ناظراً إلى أمه ، لأول مرة ، من أعلى ، يتفحصها صغيرة / قصيرة ، ويرى - بسرور لا حد له - موازين العالم تنقلب ، ليصبح (أخيراً!) أكبر من أمه ، وأكبر من الخادمة ، ومن الثلاجة ، ومن الكرسي و . .
تأملته أمّه ، سارحةً ، هنيهةً . . ونفذت تأملاتها عميقاً / سحيقاً صوب قلبه ، حيث مشاعره تتضخم وتتعملق وتكبر ، حتى أحست في باطنها بالتضاؤل ، بالصغر والتقزم ، وتمتمت بكثيرٍ من الفخر :
ابني . . أكبر مني!

سماء صغيرة

«هل رأيتني يا مـامـا؟ فـرّشت أسناني ، وأنهـيت غدائي ، ومشطت شعري!»

في كل مرة تصرف فيـها بشكل صحـيح ، كـانت تطبع على يده نجمة حمراء .

تزاحـمت النجوم على كـفيـه الصـغيرين ، وزحـفت حتى سـاعـديه ، بطنه ، فخذيه ، خـديه ، جـبـينه وأرنبـة أنفه . .

امتلأ الصغير بالنجوم حتى تحول إلى سماءٍ صغيرة ، فـصـار يمشي دون أن يطأ الأرض ، وسـبـحت الغـيـوم في عينيه ، وأشرقت شمسٌ من فمه .

هكذا . . قالوا بأنه كائن سماوي ، وسمّوه ملاكاً .

حيلة

سأل الصغير : ولكن لماذا يجب أن أنام يا ماما؟

أخبرته أمه بأن عليه أن ينام حتى تطلع شمس الغد ، فآمن الطفل بأنه إذا لم ينم لن تشرق شمس في الغد ، وسيتورط العالم بليلٍ لا ينتهي . .

واظب الصغير على ميعاد نومه ، مؤمناً بأنه إنما يفعل ذلك لإنقاذ العالم ، وللإبقاء على النور ، والحفاظ على الحياة . . مؤمناً بأن النوم في الوقت المحدد هو ضرب من البطولة .

بعد سنوات ، انسلت روح الصغير خارج جسده وصعدت عالياً ، وفي مضيه إلى السماء التفت لمرة أخيرة صوب الأرض ، وكانت الشمس تشرق ، من دونه لأول مرة . .

فقد

قرأتْ الأم بأنه إذا نام أشخاصٌ في الغرفة نفسها فإن إيقاع أنفاسهم ، ونبض قلوبهم ، و(ربما؟) أحلامهم تأخذ في الاتساق والتناغم ، وفي غضون أقل من ساعة تراهم يتنفسون بالوتيرة نفسها ، وتغشاهم كيمياء مشتركة . . فتتنت الأم بالفكرة ، قبل أن تضع المجلة على المنضدة ، وتلقي نظرة أخيرة على زوجها وطفليها النائمين بينها وبينه في سريرٍ عائلي عملاق ، ورغم كل ما قيل عن وجوب أن ينام الصغار في أسرتهم ، لم تكن لتجرؤ على أن تمزق أواصر هذه الوحدة المقدسة التي تتخلق بينهم في أثناء النوم ، وأن تشتت أنفاس أسرتها ، وأن تمايز ما بين إيقاع قلوبهم . .

في صباحٍ مختلف ، استيقظ ثلاثةٌ وبقي واحد :

أصغرهم ، رفض أن يستيقظ ، ولم يكن فيه أنفاسٌ أو نبض .

في ليلة ذلك اليوم ، تكدس الثلاثة تحت اللحاف ، يحضنون بعضهم ويبكون ، الأم والأب والابن الذي بقي . . ثم وضعوا رؤوسهم على الوسائد متعانقين ، وبشيءٍ من التردد تمتمت الأم :

- أعتقد بأن أنفاسنا نقصت واحداً .

هيا إلى النوم ..

قلتُ له هيا إلى النوم ، تعال إلى وسادتك الزرقاء يا أرنوب! أغمض عينيك وستنبت للجزرة عينين وأسنانْ ، ستهدهدك في سريرك حتى تغفو .

قال : لستُ أرنباً . .

قلتُ : أنت كتكوت إذن؟ كتكوت ذهبي ، ريشه يلمع وتطلع الشمس من عينيه ، تعال وجناحيك الصغيرين ، ادفن رأسك في داخلك ولتكن أحلامك دافئة

قال : لست كتكوتاً . .

قلتُ له : لعلك هرٌ رمادي ، يجوب شوارع قلبي ، يتأرجح بين ذراعي ، جسدي وطنه ، على ساعدي آثار

أظافره ، أهمس له بالحكايا حتى تستيقظ أحلامه .

قال : لا . .

لستُ أرنبا ، لستُ كتكوتاً ، ولا هراً!

سألته : ماذا تكون؟

قال أنا نمر مخطط أكبر من الجزرة والشمس والشوارع ، وإذا حملتني إلى السرير سأمزق وجهك بمخالبي!

وأخيراً..

نحن ضحايا أنفسنا ، الآخرون مجرد حجة!

الكويت

٢٠٠٣-٢٠٠٩

بثينة وائل العيسى

- مواليد ٣ سبتمبر ١٩٨٢
- زوجة وأم لولدين .
- موظفة في القطاع الحكومي .
- حاصلة على شهادة البكاليريوس عن تخصص التمويل والمنشآت المالية
- كلية العلوم الإدارية - جامعة الكويت ٢٠٠٥
- طالبة الماجستير في إدارة الأعمال - تخصص تمويل .
-كلية العلوم الإدارية - جامعة الكويت ٢٠٠٧

صدر لها :

١ . ارتطامٌ لم يسمع له دوي ، (رواية) عن دار المدى - سوريا ٢٠٠٤ .

٢ . سعار (رواية) عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ٢٠٠٥ .

٣ . عروس المطر (رواية) عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ٢٠٠٦ .

٤ . من تحتها الأنهار (رواية) عن الدار العربية للعلوم - بيروت ٢٠٠٩ .

٥ . قيص وليلى والذئب (نصوص) عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ٢٠١١ .

عضو في :

- رابطة الأدباء الكويتية
- اتحاد الكتاب العرب

الجوائز :

* حائزة على جائزة الدولة التشجيعية عن روايتها «سعار» ٢٠٠٥/٢٠٠٦ .
* حائزة على المركز الأول في مسابقة هيئة الشباب والرياضة ٢٠٠٣ - فرع القصة القصيرة .
* حائزة على المركز الثالث في مسابقة الشيخة باسمة الصباح - فرع القصة القصيرة .
* حائزة على المركز الثالث في مسابقة مجلة الصدى للمبدعين ٢٠٠٦ .

الفهرس

QAYS LAYLA & THE WOLF

SHORT STORY

قيس وليلى والذئب



@ketab_n

فتحت ليلى الكتاب فوجدت غابة، تحسستها بأصابعها.. تنشقت عبقها وأغمضت عينيها طويلاً، طويلاً..



ما زالوا يفتشون عن الفتاة التي اختفت داخل كتاب!



بثينة العيسى

ISBN 978-9953-36-151-7

9 789953 361512

42 عاماً في خدمة الثقافة العربية
2011
المؤسسة العربية للدراسات والنشر
http://www.airpbooks.com
2011